

## أفعال الكلام في ضوء الدرس التداولي

الباحثة

سماهر سند غالب المطيري

جامعة القصيم- Qassim University \_ كلية اللغات والعلوم الإنسانية \_ قسم اللغة  
العربية وآدابها \_ المملكة العربية السعودية.

### الملخص

يهدف هذا البحث المعنون بـ "أفعال الكلام في ضوء الدرس التداولي" إلى تسليط الضوء على الاتجاه التداولي في الدرس اللساني المعاصر. والذي يهتم بدراسة اللغة أثناء استعمالها في المقامات المختلفة، وبحسب أغراض المتكلمين وأحوال المتخاطبين. ونتيجة لذلك فقد انبثقت من هذه النظرية اتجاهات تواصلية حديثة تهتم بفهم التواصل الإنساني، على رأسها الأفعال الكلامية أو أفعال الكلام والتي تُعني بدراسة كيفية استخدام اللغة في القيام بأفعال قولية لتحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي، لذا فإنَّ الفعل الكلامي عنصر مهم في الكثير من الأعمال التداولية، فقد قدم الفيلسوف (جون أوستين) دراسة أولية لهذه النظرية وبعد ذلك وسَّع الفيلسوف (جون سيرل) افتراضات أوستين مشددًا على أن فعل القول لا يمكن تحقيقه من دون قوة إنجازية. ومن هنا يسعى البحث لتفصيل الحديث أكثر حول نظرية أفعال الكلام بدءًا بالتأصيل لها عبر التراث العربي، ثم تطورها ونضجها في الدرس اللساني الحديث. كما أنه يعرض جهود مؤسسيها ودورهما في وضع مفاهيم وأسس هذه النظرية. ليقف أخيرًا على كيفية استخلاص المعنى من الفعل الكلامي.

**الكلمات المفتاحية:** أفعال، الكلام، الإنجاز، التلفظ، التأثير.

## Abstract

This research entitled "Speech Acts in the light of the pragmatic lesson" aims to shed light on the pragmatic trend in the contemporary linguistic lesson. Who is interested in studying the language while using it in different places, according to the purposes of the speakers and the conditions of the interlocutors. As a result, modern communicative trends emerged from this theory concerned with understanding human communication, on top of which are verbal verbs or verbal verbs, which mean studying how to use language in performing verbal actions to achieve achievement purposes and influential goals related to the reactions of the recipient, so verbal action is an important element in many From deliberative work, the philosopher (John Austen) provided an initial study of this theory and then the philosopher (John Searl) expanded Austin's assumptions stressing that the act of saying cannot be achieved without a performing force. Hence, the research seeks to detail the discussion more about the theory of speech acts, starting with its rooting through the Arab heritage, and then its development and maturity in the modern linguistic study. It also presents the efforts of its founders and their role in developing the concepts and foundations of this theory. To finally stand on how to derive the meaning from the verbal act.

**Key words:** verbs, speech, achievement, articulation, effect.

إنَّ اللسانيات التداولية إحدى الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث. ولعل هذا ما جعلها أكثر دقة وضبطاً، حيث تعتبر التداولية اللغة كلاماً واضحاً محدداً صادراً عن متكلم محدد وموجهاً إلى مخاطب محدد ولفظ واضح محدد كذلك ضمن سياق تواصل. وتُعنى اللسانيات التداولية في سبيل دراستها للغة بأقطاب العملية التواصلية، فتهتم بالمتكلم ومقاصده بعده محرراً لعملية التواصل، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف والأقوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، ضماناً لتحقيق التواصل من جهة، ولتستغلها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصده من الكلام من جهة أخرى. فالتداولية إذن علم تواصل جديد، يعالج كثيراً من ظواهر اللغة ويفسرها ويساهم في حل مشاكل التواصل ومقوماته، ومما ساعدها على ذلك أنها مجال رحب يستمد معارفه من مشارب مختلفة، فتجده يأخذ من علم الاجتماع، وعلم النفس المعرفي، واللسانيات، وعلم الاتصال، والأنثروبولوجيا، والفلسفة التحليلية. لذا فإن تقديم تعريف للتداولية يلم بجميع جوانبها ويشملها أمر من الصعوبة بمكان، وذلك لأنها مبحث لساني ونظرية لم يكتمل بناؤها بعد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجدها تتقاذفها مصادر معرفية عديدة إذ لكل مبدأ من مبادئ التداولية مصدر انبثق منه، كما أنها تتداخل مع كثير من العلوم الأخرى مما جعل كل باحث ينطلق في تعريفها من مجال تخصصه. (ينظر: صحراوي، 2008، ص 17). وقد عنت التداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب وهذه الجوانب اعتمدت مسارات تضم كلا منها عددا من الدراسات نحو: الإشارات<sup>(1)</sup> والافتراض المسبق<sup>(2)</sup>، والاستلزام الحوارية<sup>(3)</sup>، والأفعال الكلامية. ونظرا لأهمية هذه النظريات وقيمتها في الدرس التداولي فإننا سنخصص الحديث حول آخرها وهي نظرية الأفعال الكلامية أو أفعال الكلام.

يهدف البحث لدراسة هذه النظرية بشكل مفصل بدءاً بالتأصيل التراثي لها، ثم مرحلة تطورها ونضجها على يد مؤسسيها جون أوستين وجون سيرل. ليُجيب عن تساؤلات أهمها: ما المقصود بأفعال الكلام؟ وما علاقتها بالتداولية؟ ما الفعل الكلامي من منظور أوستين وسيرل وما جهودهما حول هذه النظرية؟ كيف يمكن أن نستخلص المعنى من الفعل الكلامي؟

(1) الإشارات: هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم، مع التفريق الأساسي بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه. نحو: أسماء الإشارة، أسماء الموصول، الضمائر، ظروف الزمان والمكان...  
(2) يقصد به: أن يوجه المتكلم حديثه إلى المخاطب على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له، فإذا قال شخص لآخر: أغلق النافذة فالفترض سلفاً أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبرراً يدعو إلى إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وكل هذا موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب.  
(3) هي من أبرز ظواهر الدرس التداولي، تناولها الناقد الفيلسوف الأمريكي بول جرايس، وقال فيها: إن الإنسان قد يتحدث بما يقصده، وقد يقصد أكثر مما يقول، وقد يقصد عكس ما يقول.

وقد كثرت الدراسات والأبحاث التي عُنيَت بهذه النظرية، وغيرها من نظريات الدرس التداولي، ولا مجال لحصرها إذ حاول كل باحث أن يُقدم تصورًا واضحًا لهذه النظرية من وجهة نظره وحسب مقتضى بحثه. ولست أزعم بذكر الجديد عمّن سبق، إنما هو عرض للموضوع من وجهة نظر الباحثة وحسب رؤيتها.

وعليه يقوم هذا البحث على مقدمة، وعددٍ من المحاور أولها: المحور الأول تحت عنوان: أفعال الكلام: نظرة تأصيلية، وهي نظرة تتمحور حول ثنائية الخبر والإنشاء، واعتماد مفهومي الصدق والكذب للتمييز بين الأسلوبين، ثم في المحور الثاني الذي بعنوان: مفهوم أفعال الكلام ويتضمن التعريف بهذا المصطلح التداولي، يليه في المحور الثالث جهود أوستين وسيرل في هذه النظرية بدءًا بجهود أوستين التي تمثل مرحلة الانطلاق لأفعال الكلام، ثم جهود تلميذه سيرل التي نضجت معه هذه النظرية واكتملت، وآخرها استخلاص المعنى من أفعال الكلام وهو المحور الرابع، ثم خاتمة ضمت أبرز نتائج البحث، وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي تخدمه.

## 2. أفعال الكلام: نظرة تأصيلية

إنَّ التأصيل لأفعال الكلام في التراث العربي ينطلق من مباحث (علم المعاني) ضمن الظاهرة الأسلوبية الموسومة بـ (الخبر والإنشاء) من طرف النحويين والبلاغيين وعلماء الأصول فركزت جُلَّ دراستهم على خروج المعاني الأصول إلى معانٍ فروع بحسب السياقات ومقاصد المتكلمين، وهو ما بات يُعرف في نظرية أفعال الكلام بالقوى الإنجازية الحرفية والقوى الإنجازية غير الحرفية (ينظر: بو الريش، 2018).

وقد بُحِثت ظاهرة الأفعال الكلامية في تراثنا من قبل طوائف متعددة، غير أنَّ البحث عنها في تضاعيف هذا التراث الضخم لم يكن مقصودًا لتراثه ولكن قُصد به غيره. (ينظر: الطبطبائي، 1994، ص ص 8-9) فاتخذت الظاهرة منحى آخر وهو ظاهرة (الخبر والإنشاء). فانقسمت هذه الثنائية بين: جمل خبرية توافق الأفعال الإنجازية، وجمل انشائية اتخذت الظاهرة وسيلة لا غاية، فجعلت مدخلًا لفهم علوم أخرى وهي علوم غير لغوية في الغالب، فتوزعت الظاهرة بين فروع معرفية متعددة وخاض فيها علماء أجيالٍ إلا إنهم لم يفردها بالبحث والتأليف ولا قصدوا لذاتها. ونرى أن التصدي لتشكيك بعضهم فيما قدمه علمائنا والرد عليه وتبديده هي من أقوى المبررات للبحث في الظاهرة، ولا يكون ذلك إلا بإعادة قراءتها قراءة معاصرة؛ لتكشف سلاح المناهج الحديثة وما أفرزته من جهاز مفاهيمي مع الابتعاد عن التعسف في تضيق ذلك على مفاهيم التراث تطبيقًا قسريًا، ومع ابداء التحفظ الواجب الذي يفرضه استصحابنا للوعي باستقلالية التراث

العربي، فلا يجوز أن ننسى أن لهذا التراث خصائص إبستمولوجية تجعل منه منظومة مستقلة ومتميزة ومتكاملة في تفاعل العلوم العربية الإسلامية بعضها ببعض ( ينظر: صحراوي، 2004، أكتوبر 1) وقد مرت نظرية (الخبر والانشاء) بمراحل انتقلت فيها من إيراد ملاحظات متفرقة إلى أصول ناضجة ومباحث مؤسسة بعد أن خصصت مصطلحاتها لبحوث مستفيضة وأراء مختلفة ليستقر في الأخير جهازها المصطلحي والمفاهيمي.

فأول المعايير التي اعتمدها العلماء القدماء للتمييز بين الأسلوبين هو: معيار الصدق والكذب، فابن سينا (ت 428هـ) يقسمه إلى خبر وطلب و" الخبر أو القضية هو الذي يصلح أن يصدق أو يكذب" ( نقلاً عن: صحراوي، 2008، ص 86)، ويعضد هذا الكلام التعريف الذي أورده القزويني (ت 493هـ) " الكلام التام إن احتمل الصدق والكذب فهو الخبر والقضية، وإن لم يحتمل فهو الإنشاء" ( نقلاً عن: المصدر السابق، ص 85-86)، كما أن الكلام هو " كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه" ( ابن يعيش، ت 643هـ. ، د.ت، 20/1)، وقد عرفهما السكاكي بلوازمهما في الخبر " هو الكلام المحتمل للصدق والكذب"، و" الطلب هو ما يستدعي مطلوباً لا محالة" (السكاكي، ت. 626هـ، ط. 1987، ص ص 164-302). ويؤكد أن الخبر والطلب بعد افتراقهما بحقيقتيهما يفترقان باللازم المشهور وهو احتمال الصدق والكذب. (ينظر: المصدر نفسه، ص 165)

ويقول مسعود صحراوي في هذا الصدد أن آخر ما استقرت عليه البلاغة العربية في مراحل نضجها هو التصور الذي يميز بين الأسلوبين بمعيار (القصد) ومعيار (إيجاد النسبة الخارجية). وأن الأول من هذين المعيارين معيار تداولي، والثاني بينهما معيار منطقي. (ينظر: صحراوي، 2008، ص 115) ويخلص بتصور مفاده أن الخبر " هو الخطاب التواصلية المكتمل إفادياً، والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبته الخارجية، وأن الانشاء هو الخطاب التواصلية المكتمل إفادياً، والذي يريد المتكلم من نسبته الكلامية أن توجد نسبته الخارجية". (المصدر السابق، ص ص 109-110).

ويؤمن محمود أحمد نحلة جهود العلماء العرب في دراسة الظاهرة ويذهب إلى أن: " منطلق التفكير في هذه الظاهرة عند أوستين وعند علمائنا واحد. فهم لم يقصروا الكلام على ماله واقع إذا طابقه كان صادقاً وإذا لم يطابقه كان كاذباً، بل تجاوزوا ذلك إلى ما سعى أوستين جاهداً لإثباته وعدّه فلاسفة اللغة الغربيين إنجازاً كبيراً، حيث وصلوا إلى الفكرة المحورية التي كانت المنطلق إلى وضع هذه النظرية، وهي أن من الكلام ما يكون فعلاً أو إيقاعاً لفعل بلفظ يقارنه في الوجود" (نحلة، 2002، ص 97)

لذا تقديمنا للنظرة التأصيلية لا تعني أن ما جاء به أوستين وسيرل مطابقاً تمام المطابقة لما دُرِس عند علمائنا القدامى. فلو كان الأمر كذلك فلا فائدة من تداولية أوستين وسيرل إذن، لكن الأمر لا يعدو كونه تتبع لبدايات هذه النظرية من التراث القديم حتى طورها أوستين ونضجت كلياً مع تلميذه سيرل وهذا دليل على الرابط الوثيق بين القديم والحديث. فلسنا نزع الانحياز للقديم على الحديث إنما لنضع القارئ على الجسر الممتد بينهما؛ لكي ينظر في ماهية الموضوع نفسه وكيف تطور عبر الدرس اللغوي.

### 3. مفهوم الأفعال الكلامية

نظرية أفعال الكلام أو الأفعال الكلامية ويُطلق عليها: نظرية الحدث الكلامي وهي ترجمة للعبارة الإنجليزية Speech act theory ولها ترجمات أخرى في اللغة العربية مثل: نظرية الحدث اللغوي، النظرية الانجازية، نظرية الفعل الكلامي وغيرها من الصيغ والعبارات وهي جزء من اللسانيات التداولية. (ينظر: مرواني، 2019، يوليو 15).

والتداولية كما عرفها شارل وليام موريس Charles.w.Morris (1834-1896): " علم يدرس الاستعمال اللغوي في الخطاب والسمات التي تشهد على ما في اللغة من وظيفة خطابية" ( أرمينكو، 1986، ص8). ويعرفها صاحباً معجم التداولية الموسوعية بأنها: " دراسة استعمال اللغة مقابلة بدراسة النظام اللساني الذي يخص اللسانيات بالمعنى الحصري للكلمة. (ينظر: لوهرن، 2009، يونيو 13).

وبما أنَّ اللغة سلوك اجتماعي يُعبّر به الناس عن أفكارهم، ونشاط يقوم به جماعة من الناس بهدف التواصل وتحقيق المصالح، فإنَّ الفرد يستخدم اللغة في مواقف الحياة حين يوجه شكرًا أو يقدم اعتذاراً أو يصدر قراراً، فالكلام المصاحب لهذه الأنشطة وغيرها هو مادة صالحة للدراسة، وقد أبدى علماء اللغة والفلاسفة اهتماماً كبيراً في العصر الحديث بالعناصر الموقفية في اللغة، والتي لها ارتباط بغرض المتكلم ولماذا يتكلم؟ لذا انتقلت التداولية من أبحاث الفلسفة التحليلية التي تدرس وظائف المنطوقات وخصائصها. لتظهر نظرية أفعال الكلام وهي من أهم مرتكزات التداولية عام 1962م بجهود الفيلسوف الإنجليزي John Osten (1911-1960) حيث قال في كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلام): عندما نقول شيئاً ما فإننا في الحقيقة نقوم بفعل ما. أي أن الأقوال تتحول لأفعال. ومن هذه الفكرة جاءت نظرية الأفعال الكلامية. (ينظر: حجاج، 2022). ولم تقف هنا بل ازدهرت على يد تلميذه الفيلسوف جون سيرل J.Searle (1923) ومواطنه بول غرايس Poule Grice (1913-1988). (ينظر: غالية، 2019، سبتمبر 30).

لذا فإن أمكن إعطاء تعريف واضح ودقيق للأفعال الكلامية لقل: "ألفاظ تتلفظ بها وتقوم على نظام شكلي ذي دلالة، تُنجز من خلالها فعلا يؤثر على المتلقي، وهي أيضاً نشاط مادي يعتمد على أفعال قولية؛ لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب، والأمر والوعد، والوعيد، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض، والقبول ومن ثم فهو فعل تأثيري أي يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعياً، والفعل التأثيري – الفعل الناتج عن القول- هو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع". ( مرواني، 2019، يوليو 15)، ويراد بها" الإنجاز الذي يراد به المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة". (حجاج، 2020)

تقوم نظرية الأفعال الكلامية على أساسين منهجيين هما: عرقية الاستعمال ومقصد المتكلم، فأما عرقية الاستعمال فيقصد بها: أن استعمال اللفظ منوط بما تعارف عليه أبنائها في ألفاظها وصيغها وتراكيبها وما تقتضيه مقامات الكلام وأعراف الناس وأحكام الشرع. (ينظر: مرواني، 2020، جوان 19) وقد قسم أوستين أفعال الكلام بحسب اشتراكها في سمات وظيفية محددة سيأتي ذكرها في المبحث الآتي.

#### 4. أفعال الكلام بين أوستين وسيرل

##### 1.4 مرحلة الانطلاق: تداولية أوستين

أصبح مفهوم الفعل الكلامي Speech act نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فضلاً عن ذلك يُعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires ، وقد توصل أوستين في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية:

- فعل القول أو الفعل اللغوي Acte Locutoire ويراد به: إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة. ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية وهي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي، المستوى التركيبي، والمستوى الدلالي. (ينظر: عبد السلام، 2014، مايو 10) ولكن أوستين يسميها (أفعالاً). الفعل الصوتي وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة. وأما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقاً لقواعد لغة معينة. وأما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معانٍ وإحالات محددة فقولنا مثلاً: إنها ستمطر يمكن أن يفهم معنى الجملة. ومع ذلك لا ندري أي: إخبار بـ أنها ستمطر أم تحذير من عواقب الخروج من المرحلة" أم " أمر يحمل مظلة" أم غير ذلك.. إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد (قصد) المتكلم أو (غرضه) من الكلام. (ينظر: صحراوي، 2008، ص ص 41-42)

- الفعل المتضمن في القول *Acte illocutoire* وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ أنه عمل ينجز بقول ما. وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية المتوارية خلف هذه الأفعال القوى الإنجازية ومن أمثلة ذلك: السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير. فالفرق بين الفعل الأول والثاني أن الأول هو مجرد قول شيء، أما الثاني فقيام بفعل ضامن قول شيء. (ينظر: المصدر السابق، ص42).

- الفعل الناتج عن القول *Acte perlocutoire*: يرى أوستين "أنه مع القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمن في القول (القوة) فقد يكون الفاعل (وهو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو (التسبب) في نشوء آثار في المشاعر والفكر. ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضييل، الإرشاد، التثبيط..." (المصدر السابق) ويسميه أوستين الفعل الناتج عن القول وسماه بعضهم الفعل التأثيري.

وفي السياق ذاته فقد سارت نظرية أفعال الكلام على مرحلتين: المرحلة الأولى: ميّز أوستين بين نوعين من الأقوال (أقوال وصفية) وتسمى المنطوق التقريري، وهذه تصف حالة أو شخص أو شيء ما، ويجعله علماء اللغة ضمن الأساليب الخبرية، وهذه الأقوال تصف أشياء تسبق التلفظ فحينما أقول: مكان هادئ جميل، هذا يعني أن هذا المكان موجود قبل أن أتلفظ بوصفه.

وأقوال إنجازية: وتسمى المنطوق الأدائي، وهي عكس الوصفية فهي لا تصف ولا تخبر، ولا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع تحقق مدلولها، وتقابل (الأساليب الإنشائية) في اللغة. وهي تدعو إلى إنجاز فعل بالواقع نحو قولنا: أغلق النافذة. فإنني عند سماعي لهذه العبارة سأغلقها مباشرة.. كما أن لهذه العبارات الإنجازية شروطاً أوضحها الدارسون ولا يتحقق إنجازيتها إلا بها هي (ينظر: المتوكل، 1989، ص 19).

أن يكون الفعل فيها منتمياً إلى مجموعة الأفعال الإنجازية (وعد، سأل، قال، حذر، وعد)، أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم؛ أي أنها تمثل الفردية ممن يقولها، أن يكون زمن دلالتها المضارع. ويمتاز الفعل الإنجازي عن الوصفي (الإخباري) بكونه عاكساً للآثار التي ينجزها كلامنا (ينظر: بوجادي، 2006، ص 95)، أما المرحلة الثانية فيمكننا تسميتها بمرحلة التطور إذ طور أوستين نظرية أفعال الكلام؛ عن طريق تقسيم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أفعال: فعل لفظي: يقصد به الصوت الذي يخرج من المتكلم بما في ذلك من مستويات صوتية، صرفية، نحوية. أي التلفظ بجملة سليمة نحويًا. فعل إنجازي: وهو القصد من القول اللفظي، هل قصدك وعد، ترحيب، اعتذار، تحذير، نهى، إخبار، أمر ... إلخ. فعل تأثيري: أي الأثر المترتب على الفعل الإنجازي، وهذا النوع يحض المتلقي أو المستقبل. (ينظر: مدور، 2013، ص44).

لقد مثلت جهود أوستين نقطة الانطلاق نحو تحديد مفاهيم نظرية الأفعال الكلامية، ولا سيما الفعل الإنجازي الذي صار مفهوماً محورياً في هذه النظرية. إذ يمكن تقدير فعل وفق الشروط المذكورة في العبارات الوصفية نحو: (أقول) الجو جميل، لتصير إنجازية هي الأخرى؛ وعليه فكل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين: إنجازية (صريحة/ مباشرة) فعلها ظاهر بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم. وإنجازية (ضمنية/ غير مباشرة) فعلها غير ظاهر نحو: الاجتهاد مفيد= أقول، الاجتهاد مفيد= أمرك أن تتجهّد. (ينظر: أرمينكو، 1986، ص62). واستناداً إلى مفهوم القوة الإنجازية، "ميّز أوستين بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية:

- 1/ الأفعال الحكمية (الإقرارية) Verdictifs: حكم، وعد، وصف.
- 2/ الأفعال التمرسية exersitifs: إصدار قرار لصالح أو ضد..، أو أمر، قاد، طلب.
- 3/ أفعال التكليف (الوعدية) comessifs: تلزم المتكلم: وعد، تمنى، التزم بعقد، أقسم.
- 4/ الأفعال العرضية (التعبيرية) expositifs: عرض مفاهيم منفصلة؛ (أكد، أنكر، أجاب، وهب)
- 5/ أفعال السلوكيات (الإخباريات) comportementaux ردود أفعال، تعبيرات تجاه السلوك، اعتذر، هنا، حيي، رحّب". (بوجادي، 2006، ص 97؛ غلفان، 2006، ص 48). ولم يقف أوستين عند هذا الحد بل كانت نظرية (الكلام الأدائي) من أهم نظريات الفلسفة اللغوية التي طورها، ويؤكد فيها أن الجمل ذات القيم الحقيقية لا تُشكل إلا جزءاً صغيراً من نطاق الحديث أو الكلام. وقد بين أننا نستخدم اللغة إما لنفعل الأشياء أو لتأكيد الأشياء، فعندما نقول: (أعدك بفعل كذا وكذا) فإن هذا بمثابة عمل وعد، وليس تأكيداً لفكرة معينة. وهذه الآراء السابقة قد فتحت المجال الخصب لعدد من الباحثين في إرساء أفكارهم وعلى رأسهم تلميذه سيرل وقد خُصص المحور التالي للحديث عنه.

## 2.4 مرحلة النضج: تداولية سيرل

إذا كان لأوستين فضل السبق في إرساء معالم هذه النظرية فإن لـ جون سيرل John Searl (1932) فضل تطوير مفاهيمها؛ لا سيما مفهوم الفعل الإنجازي بوصف الوحدة الصغرى في الاتصال والتحليل اللساني، ومفهوم القوة الإنجازية. وبمعنى آخر؛ طور سيرل الفرضية التي استمدّها من أستاذه أوستين وهي أن القول هو الفعل، فالقول في نظره شكل من أشكال السلوك الاجتماعي يخضع لجملة من القواعد ويحقق بها الأفراد أفعالا لغوية مختلفة كفعل الإثبات والأمر والاستفهام والوعد وغيرها. عرفت هذه

النظرية تناولا موسعاً -رغم أهمية أعمال أوستين داخل الحقل التداولي- يتمثل في إعادة صياغة نظرية أفعال الكلام عند تلميذه جون سيرل وهذا في كتابه (الأفعال اللغوية) الصادر في عام 1969م والذي تُرجم في سنة 1972 إلى اللغة الفرنسية.

لقد احتل سيرل مكانة متميزة في تداولية أفعال الكلام وهو من أبرز رواد هذه النظرية، وقد وافق أستاذه أوستين في الكتابة في مجالات الدرس التداولي، ولعل أهم مسألة كانت بمثابة القاسم المشترك بين الأستاذ وتلميذه هو الفعل الإنجازي ولكن ما سيضيفه سيرل هو ما سيعبر عن نقطة تحول في تداولية أوستين وهو في مستويين مرتبطين حيث أن أولهما نتيجة للآخر، وما يزيد أهمية لتداولية سيرل هو إعطاء طبيعة تميز القواعد المكونة عن المنظمة من حيث السلوك التي تتحكم فيه (ينظر: لعور، 2010، ص117). أكمل سيرل مسيرة أستاذه ووضع أنواعاً للفعل الكلامي: فعل كلامي مباشر (الفعل الحرفي)، الفعل الكلامي غير المباشر (الفعل غير الحرفي).

فالمباشر: هو الذي يتطابق ما يقوله مع ما يلفظه المتكلم مع ما يقصد أو يريد إنجازه. أما غير المباشر: فهو الذي لا يتطابق فيه ما يقوله المتكلم مع ما يقصده أو يريد إنجازه. مثلاً لو قلنا: هل حضر زيد؟ استفهام حقيقي فالتكلم ينظر إجابة من السامع بينما عندما يقول هل يمكنك أن تغلق النافذة؟ الاستفهام غير حقيقي فالتكلم لا ينتظر من السامع أن يجيبه إنما الغرض هو (الطلب) وكذلك كما في قوله تعالى: {ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة} عندنا فعلين كلاميين (لا تزغ) نهى، و(هب لنا) أمر، فالعلان غير حقيقيين؛ لأن المؤمن لا يمكن أن يأمر الله أو ينهيه فإله جل وعلا أعلى من المؤمنين. (ينظر: المصدر السابق). لذا فسيرل هو أول من أوضح الفكرة السابقة وشرحها أكثر؛ بتقديم شروط إنجاز كل فعل إلى جانب بيان شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى وآليات ذلك. وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود (ينظر: أرمينكو، 1986، ص66-67).

ومما قدمه سيرل أيضاً أنه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية وميّز بين أربعة أقسام: فعل التلطف (الصوتي والتركيبية)، الفعل القضوي (الإحالي والجملي)، الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل أوستين)، الفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستين). وسرعان ما أعاد اقتراح خمسة أصناف لها: الإخبار *assersifs* (تبلغ خبراً وهي تمثيل للواقع وتسمى أيضاً: التأكيدات. الأفعال الحكيمة. الأوامر *directifs* تحمل المخاطب على فعل معين. الالتزامية *commissifs* أفعال التعهد، وهي أفعال التكليف عند أوستين؛ حين يلتزم المتكلم بفعل شيء معين. التصريحات *expressifs*: وهي الأفعال التمرسية عند أوستين؛ وتعبّر عن حالة مع شروط صدقها. (ينظر: بوقرومة، 2013، أكتوبر 10؛ مدور، 2013، ص45).

كما أنه وضع اثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي منها: غاية الفعل، توجيهه، حالته السيكلوجية (ينظر: أرمينكو، 1986، ص 63) "وسماها شروط النجاح وهي تستند كثيرا إلى قوانين المحادثة لجرايس المذكورة سابقاً، ووسّع مفهوم الفعل الإنجازي ليتجاوز ارتباطه بالمتكلم إلى العرف الاجتماعي اللغوي. وجعل للقوة الإنجازية أدلة عليها: تقديم، خبر، نبر، تنغيم، علامات ترقيم" (بو جادي، 2006، ص99-100).

إنّ الجهد الذي بذله سيرل في عرض الأفعال الكلامية جهداً نموذجياً للنظرية في عصرنا هذا، ولا سيما تحليله للمكونات والأسس التصنيفية لعناصر القوى المتضمنة في القول. رغم الانتقادات التي وُجّهت إليه، والتي تدعو إلى إعادة النظر فيه على الرغم من استيفائه الثراء المفاهيمي. (ينظر: بوقرومة، 2013، أكتوبر 10؛ مدور، 2013، ص 9).

#### 5. استخلاص المعنى من الفعل الكلامي

إنّ الفعل الكلامي عنصر مهم في الكثير من الأعمال التداولية؛ لأن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وبالتالي فهو يسعى إلى إيصال معنى من خلال الأفعال الإنجازية والتأثيرية وغيرها، ونظراً لأهمية المعنى إذ يُعد حيز الزاوية لكثير من العلوم والقضايا، فلا بد أن نعرف كيف يمكن استخلاص المعنى من الأفعال الكلامية وهي الاتجاه الرئيس في النظرية التداولية التي تقوم في أساسها على دراسة المعنى أثناء الاستعمال. وبناءً على ذلك فقد أشار دانيال كلود بيلو نجييه Danielle- Claude Belonger إلى أربعة شروط ينبغي توافرها لنستطيع من خلالها أن نصل إلى تحديد دلالة أفعال الكلام.<sup>(1)</sup> (مرواني، 2019، يوليو 15).

أولها: التمييز بين مستويات الدلالة، حيث ميز بيلونجييه Belonger بين مستويين لدلالة الملفوظ: مستوى الدلالة الخاصة بكل كلمة والمستوى الأعم الذي يشير إلى قصد المتكلم، فمعنى الكلام لا يتحقق إلا بالتفاعل الاجتماعي (ينظر: مرواني، 2019، ديسمبر 31)، يرى سيرل أن: "الأفعال المتضمنة في الأقوال قصدية، فإذا أنت " لم تقصد أن تعطي وعداً، أو تصدر حكماً إذن فأنت لم تطلق حكماً، غير أن الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدي قصد بالضرورة، قد تقنع شخصاً بشيء ما أو تدفعه إلى فعل شيء دون أن تقصد ذلك ( ينظر: سيرل، 2006، ص 203 ) ( ينظر: مرواني، 2019، ديسمبر 31).

(1) أفدت في كتابة هذا المحور من بحث (أفعال الكلام في القرآن ودورها في إنتاج المعنى وترجمته إلى اللغة الفرنسية، عبد الرحمن مرواني) وهو من مراجع البحث، وقد أحال الباحث إلى مراجع أجنبية لم أقف عليها.

ثانيها: تحديد العناصر التي يتكون منها معنى الكلام، حيث أشار دانيال كلود أن معنى الكلام يتشكل من عنصرين: المعارف القبلية المكتسبة من طرق المتلقي، والمعرفة الخاصة بدلالة الألفاظ والجمل المستعملة (ينظر: المصدر السابق، ص563) فعلى النص أن يحقق قيمة تواصلية تعكس المتطلبات السياقية بالإضافة إلى المتطلبات الدلالية والنصية. وهذه القيمة التواصلية قد تتأثر بعوامل مثل: الرغبات، والأمان، والتفضيلات، والاهتمامات، والمهام، والمقاصد، والقيم، والمعايير (ينظر: المصدر السابق). ثالثها: التعرف على خواص المعرفة المكتسبة، فالسياق والمعارف المكتسبة تمد المتلقي بجملته من التوقعات التي تسهل إدراكه للكلام (ينظر: المصدر نفسه).

رابعها: امتلاك ذاكرة جمعية، يشير بيلونجي Belonger إلى أننا نمتلك ذاكرة جمعية مؤلفة من سياق مفاهيمي، ومن معارف مشتركة يفهمها المتحاورون، وما يتصل بها من معرفة باطنية بقواعد التفاعل الاجتماعي التي تخص أفعال الكلام. إنَّ هذه الذاكرة تجعل قضية المعنى سهلة المكسب، ذلك أن الحقل المفاهيمي يتيح للمتلقي إدارة المعاني في أنساق خاصة ليسمح بها الموقف الذي يحتضن الفعل الكلامي، ومن ثم فإن المحاور والمتلقي مضبوطات على وتيرة واحدة تتحدد فيها ومن خلالها المقاصد التي تحملها الكلمات. (ينظر: المصدر السابق).

ولو أردنا بلورة هذا النقاش وما يتعلق بما ذكرنا سابقاً لقلنا: لا يمكننا أن نحكم على الجمل أنها صادقة أم كاذبة من محتواها القضوي فحسب؛ إذ أن الجمل تكتسب معناها بناءً على الظروف المصاحبة للحظة تلفظنا بهذه الأفعال الكلامية، ومن أجل ذلك فقد درس أوستين هذه الجمل في بعدها الإنجازي، واعتبرها جملاً إنجازية تعبر عن إنجاز عمل ما، وبالتالي انتقل أوستين من تصنيف الجمل إلى خبرية وإنشائية. ليضع مفهومًا جديدًا يُمكن من التعامل مع أنماط الجمل المتعددة يتمثل في مفهوم (الإنجاز) وهو الطرح الذي يخالف ما كان مسلماً به في إطار الدلالة الصورية للمعنى، والتي تركز على تحديد شروط صدق العبارات في اللغة الطبيعية. فالجمل المضمنة في المعطيات تكتسب معناها بالنظر إلى إنجازها. أي بالنظر إلى السياق التي وردت فيه.

وعليه فإنَّ الدراسة التداولية تتطلب النظر في مضمون كلام المتكلم، وما يكتنف هذا الكلام من ظروف محيطية ووفق اعتبارات مختلفة نحو زمن التكلم، ومكانه، وهوية المتكلم نفسه. كما أنها لم تعتمد على (المعنى الحرفي) لمعرفة مقاصد المتكلم، بل غاصت في مضامين خلفية هذا القول فأعطت مجالاً أوسع للمعنى. إذن فالفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر فيه على مراد المتكلم، بل يتعداه إلى ما هو أبعد من ذلك فقد يرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي.

خلص هذا البحث لعدد من النقاط المهمة والتي تدور في فلك هذه النظرية التداولية، أولها: إنَّ النظرية التداولية نظرية ضخمة انبثقت منها اتجاهات متعددة لعل من أهمها (نظرية أفعال الكلام) لأوستين وسيرل اللذين استخدمتا اللغة لأغراض فلسفية. لقد كان لهذه النظرية جذور تأصيلية في الدراسات التراثية البلاغية العربية؛ فقد عُرفت بمفهوم الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة عند أوستين، فيما يسمى (بالمعنى الحرفي) وهو المعنى الصريح والمعنى البلاغي. كما أن الفعل الناتج عن القول بمصطلح أوستين يأتي كرد فعل للسامع، والذي يتجسد في العربية في مدى استجابة المخاطب للإنشاء الطلبي على اعتبار أن المخاطب ينتظر حصول شيء منه. لذا فإنَّ التداولية بمفاهيمها وما عُرفت به وتحديداً بمفهوم الأفعال الكلامية، يمكن أن تكون أداة لقراءة تراثنا العربي في شتى مناحيه، بشرط اختبار مفاهيمها للتأكد من كفايتها الوصفية والتفسيرية لدراسة ظواهر اللغة العربية.

إنَّ ما طرحه أوستين بخصوص أفعال الكلام قد فتح نقاشاً واسعاً انخرطت فيه جماعة من الباحثين من أمثال: سيرل Searl، غرايس Grice مما عمق نظرية أوستين، وجعلها أكثر اتساعاً واستيعاباً. ثم إنَّ تداولية سيرل حاولت الإجابة عن سؤال هام من وجهة نظره وهو لماذا تدرس أفعال الكلام؟ من جانب الصيغ الجديدة لمقترحات أوستين التي اقتصررت على أفعال الكلام المباشر، وانتقالاً إلى مستوى أفعال الكلام غير المباشرة، كما أخذ بفكرة المعنى على أنه نوع من (فعل) وأن دراسة اللغة جزء من نظرية الفعل إذ يقوم في نظريته على ربط أساسي بين المعاني والأفعال الإنجازية.

لذا فإنَّ الغرض من هذا البحث الذي تركز حول أفعال الكلام هو بكل بساطة: أن كل تواصل يحمل طابع لغوي يستلزم أفعال ذات طابع لغوي. فنظرية أوستين مثلت بحق انتقالاً من الظاهرة الكلامية إلى مستوى وضع القواعد والقوانين التي تضبط حدود اللغة العادية. كذلك قام مفهوم التداولية عند أوستين على ما يسمى (الإنجاز) الذي ينتج عن الجملة؛ أو الكلمة فكان عمل الفصل الذي قام به أوستين وذلك بالتمييز بين ما هو إنجازي (أدائي) وما هو وصفي (تبليغي).

## قائمة المصادر والمراجع

أرمينكو، فرانسواز. (1986). *المقاربة التداولية* (ط1). تر: سعيد علوش. مركز الانماء القومي، الرباط-المغرب.

بوجادي، خليفة. (2009). *في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العرب القديم* (ط1). بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر.

بو الريش، حليلة. (2023، يونيو13). *التأصيل لأفعال الكلام في التراث العربي القديم*. جامعة 20 أوت.

<http://portal.amelica.org/ameli/journal/>

بو قرومة، حكيم. (2013). *نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين وسيرل ودورها في البحث التداولي*، جامعة

*المسيلة*. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/>

حجاج، إبراهيم. (2022). *نظرية الأفعال الكلامية*. النقد ببساطة وإيجاز.

دلاش، الجيلاني. (د.ت). *مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها*. تر: محمد بحياتين.

جامعة تيزي وزو، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي. (ت 626هـ، ط.1987). *مفتاح العلوم* (ط2).

ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

سيرل، جون. (2006). *العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي* (ط1). تر: سعيد الغانمي. الدار العربية

للعلوم، المركز الثقافي العربي، منشورات الاختلاف، بيروت-لبنان.

صحراوي، مسعود. (2004). *الأفعال الكلامية عند الأصوليين: دراسة في ضوء اللسانيات التداولية*. مجلة اللغة

\_\_\_\_\_ (2008). *التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث*

*اللساني العربي* (ط1). دار التنوير، الجزائر.

الطبطبائي، طالب سيد هاشم. (1994). *نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب*

(ط1). منشورات طابعة الكويت.

عبد السلام، يسمينة. (2014). *نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مجلة المخبر، ع10،*

<https://ketabpedia.com/.115-99>

غالية، عرابي. (2019). *نظرية أفعال الكلام في ضوء الاسلوبيين الخبري والإنشائي، مجلة فصل الخطاب، ع27*

(7)، <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/101815.33-7>

غلفان، مصطفى. (2006). *اللسانيات والثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة والتكوين* (ط1). شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء- المغرب.

لعور، أمنة. (2010). *الأفعال الكلامية في سورة الكهف: دراسة تداولية* [رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة]، قسنطينة، الجزائر.

لوهن، نور الهدى. (2009). *علم الدلالة: إشكاليات النشأة والتعريف، علوم اللغة، ع2، (12)،*

<http://search.mandumah.com/Record/144197.280-241>

المتوكل، أحمد. (1989). *اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري* (ط1). منشورات عكاظ، الرباط- المغرب.

مدور، محمد. (2013). *الأفعال الكلامية في القرآن الكريم: سورة البقرة دراسة تداولية* [رسالة دكتوراه، جامعة

الحاج لخضر]، باتنة، الجزائر.

مرواني، عبد الرحمن. (2019). أفعال الكلام في القرآن ودورها في إنتاج المعنى وترجمته إلى اللغة الفرنسية، مجلة

إشكالات في اللغة والأدب، ع3، (8)، 575-559.

\_\_\_\_\_ (2020). ترجمة الفعل الكلامي في الخطاب القرآني في ضوء نظرية أفعال الكلام: دراسة تحليلية

مقارنة لثلاث ترجمات. مجلة العلوم الإنسانية، ع1، (31)، 254-241.

نحلة، محمود أحمد. (2002). آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (ط1). دار المعرفة الجامعية، مصر.

ابن يعيش، موفق الدين يعيش ابن علي. (ت. 643هـ، ط. د.ت). شرح المفصل (ط1). عالم الكتب، بيروت.

#### بيانات الباحثة:

سماهر سند غالب المطيري، باحثة في الدراسات اللغوية (النحو والصرف) في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية. حاصلة على درجة الماجستير في الدراسات اللغوية من جامعة القصيم في عام 1441هـ-2020م. تدور اهتماماتها البحثية حول النحو والصرف، والدراسات اللغوية.